 DOI: http://dx.doi.org/10.18860/el.v21i1.5933

علم الدلالة في التراث اللغوي العربي النيجيري بين الأصالة والحداثة
'ILM AD-DALALAH FI AT-TURATS AL-LUGHAWI AL-'ARABI AN-NIGERI BAINA AL-ASHALAH WA AL-HADATSAH

Abdul Ganiy Abimbola Abdus Salam[1] *and Salisu Abdul Karim*[2]
[1]Department of Arabic University of Ilorin Nigeria
[2]Department of Arabic Nasarawa State University Keffi Nigeria
Email: babanimam@gmail.com

الملخص

علم الدلالة يهتم بدراسة معاني المفردات اللغوية، وله أهمية قصوى في مجال صناعة المعاجم اللغوية والترجمة والتعريب، ودراسة الصوتيات وبنية الكلمات واشتقاقاتها، وكل ما هو من شأنه عناية بأساليب تراكيب اللغة البشرية، ودراية ما تكنه ألفاظها من أسرار دلالية، لمواكبة مستجدات الحضارة الإنسانية. وعليه تتقصى هذه المقالة خطوات سلفنا من العلماء والدارسين وجهودهم المبذولة تجاه علم الدلالة في التراث العربي النيجيري، لمعرفة قيمه اللغوية فيما بين الأصالة والحداثة. وذلك تأكيدا للجيل الناشئ من أن علمائنا اللغويين في هذا الوطن قد خلفوا لنا تراثا لغويا عربيا نيجيريا في علم الدلالة الأصيل.

Abstract

The significance of linguistics concerns with lexicography, translation and arabization, including the study of Phonology, the structure of words and its derivatives. All of them minds the methods of human language structures enhancing tangible pace of development in human civilization. This article explores the steps taken by our scholars and their efforts towards the Semantics of the Arab-Nigerian heritage, in order to discover its linguistic values between originality and modernity. This is an affirmation to the younger generation that the linguists

have left Arab-Arabic heritage in the original Semantics. This article tries to examine the presence of Semantics in the Arab-Nigerian heritage, between its old and modern concept through the efforts of Nigerian linguists in Semantics. It deals with the concept of significance in Arab heritage, and the presentation of Linguistics on the ancient Arabic and modern linguists, exploring the efforts of local scholars in the Semantics of Arab-Nigerian heritage.

Keywords: *Arabic; Heritage; Modernism; Originality; Semantics*

المقدمة

علم الدلالة من العلوم الحديثة يروجه علماء الغرب اللغويين منذ أواخر القرن التاسع عشر، ومع حلول أوائل القرن العشرين الميلاديين. وعلم الدلالة بشكله المعروف في الآونة الراهنة موجود لدى الدارسين اللغويين العرب القدامى في إطار الدراسات اللغوية القديمة، يمثلها علم صناعة المعاجم اللغوية والدراسات في متن اللغة وفقه اللغة. وما صنفه أبو منصور الثعالبي في فقه اللغة وأسرار العربية، وأحمد بن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة، وما تلا ذلك من المصنفات والدراسات في علوم اللغة، يعد ذلك كله جهود وبداية لتمهيد نشوء علم الدلالة في صورته الحالية.

نال علم الدلالة عناية الباحثين اللغويين في العصر الحديث، واستفاد اللغويون المحدثون العرب بما لدى علماء الغرب اللغويين من الدراسات الحديثة المستجدة في علم اللغة الحديث. وعلم الدلالة يندرج في مجال الدراسات اللغوية ضمن فروع علم اللغة الحديث. وإضافة إلى ما لدى العرب من التراث اللغوي العربي الأصيل الضخم لدى اللغويين القدامى، فأضاف الدارسون اللغويون المحدثون العرب من هذا التراث اللغوي العربي الهائل بما درسوا واستفادوا به من التراث اللغوي الغربي في علم الدلالة. فصنفوا الكتب في علم الدلالة، وكثفوا البحوث فيه، فبرز على الصعيد الدلالي عدة مصنفات في علم الدلالة في العصر الحديث.

مفهوم علم الدلالة

الدلالة لغة: من «دل»، من مادة «دلل» التي تدل على الإرشاد إلى الشيء والتعريف به. ومن ذلك دله على الطريق أرشده وسدده إليه (الزبيدي، ٤٩٧-٤٩٨). فالدلالة بفتح

الدال وكسرها من الفعل «دل»، أي أرشد، والجمع دلائل ودلالات، وقال ابن دريد: الدلالة بالفتح حِرْفة الدَّلاَّل. ودليل بيِّن الدلالة بالكسر لا غير (ابن منظور، ٢٠٠٢: ٤٠١)

وتعريف علم الدلالة اصطلاحا هو دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها حتى يكون قادرا على حمل المعنى (عمر، ١٩٨٢: ١١). علم الدلالة أو علم المعنى يبحث في معاني المفردات والتراكيب من الكلمات والجمل، وهو أحد فروع علم اللغة النظري. وهو موضوع متشعب حيث إن له جوانب فلسفية ونفسية ولغوية واجتماعية وصوتية متعددة (قدُّور، والخولي، ٢٠٠٠ :١٢٤) مصطلح علم الدلالة حديث النشأة والتكوين، فأول من وضع أسسه العالم الفرنسي اللغوي برايل في سنة ١٨٩٧، وقد أسماه السيمانتيك، كما أطلقت عليه عدة أسماء في اللغة الإنجليزية، أبرزها اليوم لفظة سيمانتيكSemantics .

والمصطلح مأخوذ من كلمة Sema اليونانية، وتعني علامة. ومن الملاحظ والمتصور أن تبدو الكلمة عربية الأصل والسمة، وهي سيماء من سمة، وتعني علامة أيضا، بدلالة قول الله تعالى: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح:٢٩]. وكان الأولى أن يؤخذ هذا اللفظ من العربية بما أنه يدل على المعنى نفسه (خضير، ٢٠١٦: ١٢). أما في رواية بعض الدارسين اللغويين المحدثين فتُعيد نشأة علم الدلالة الحديث إلى أواخر القرن التاسع عشر. في مقالة نشرها ميشال بريال M. Briel عام ١٨٨٢م. ثم تلى ذلك كتاب لدارمستيتر Darmesteter الذي تطرق فيه إلى مسائل دلالية متعددة، في كتابه حياة الألفاظ، أصدره عام ١٨٨٧م. وفي عام ١٨٩٧م. نشر بريال كتابا آخر في علم الدلالة، وإليه يرجع الفضل في نشأة علم الدلالة ضمن إطار دراسة اللسانيات (قدُّور، ١٩٩٦: ٢٨٠).

أما في اللغة العربية فبعض الدارسين يسميه علم الدلالة، بفتح الدال أو كسرها، وآخرون يسمونه علم المعنى، محذرين من استخدام صيغة الجمع، لأن علم المعاني فرع من فروع البلاغة، ويطلق عليه بعضهم اسم السيمانتيك أخذا من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية. في حين لا يرى بعض الباحثين اللغويين غضاضة في إطلاق علم المعاني بصيغة الجمع على علم الدلالة (الخولي، ٢٠٠٠: ١٢٤) الجمع هذا وقد تناول علماء الأصول من خلال دراساتهم حين يفهم منه كيفية دلالة الألفاظ على المعنى محصورة في عبارة النص، إشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص، ووجه ضبطه أن الحكم المستفاد من النظم أن يكون ثابتا بنفس النظم أو لا (عبد السلام، ٢٠١١: ١٧٩-٩٢).

علم الدلالة بين الأصالة والحداثة

فعلم الدلالة بين القديم والحديث يراد به ما خلفه علماء القديم من التراث اللغوي الدلالي، ودراسة هذا التراث القديم، وتقصي آثار هؤلاء القدامى من اللغويين والباحثين والوقوف على جهودهم المبذولة في الدراسات الدلالية، وبالتالي محاولة بلورتها أو انعكاسها على الدراسات الحديثة عن علم الدلالة لدى الدارسين اللغويين المحدثين. لم يكترث علماء الأصالة في دراسة اللفظ بالدقة الكافية التي يوليها علماء الحداثة العناية والاهتمام اليوم، فالدارسون القدامى يرتكزون ويكرسون جهدهم على الدراسات التاريخية والاشتقاقية، وهذا ما تدل عليه ما في طيات المعاجم اللغوية، غير أن ثمة من درس علم الدلالة وأعطاه حقه أكثر وهم علماء الفقه والأصول (خضير، ٢٠١٦: ١٣).

لكن أهل المنطق كذلك تحدثوا عن قضية الدلالة قديما، وحددوه بالدلالة اللفظية، كما استخدمه الأصوليون أيضا على هذا الطراز، وعلم الدلالة لدى المناطقة هو كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تُخيل فُهم منه معنى للعلم بوضعه، فالدلالة اللفظية المقصود بها دلالة اللفظ على تمام معناه، وإما أن يساق ليدل على بعض معناه، وإما أن يساق ليدل على معنى خارجا عن معناه (خضير، ٢٠١٦: ١٢).

دخل علم الدلالة المنطق وأصول الفقه وفقه اللغة، ويصب اهتمامه في كل هذه المجالات، إلا أنه أصبح علما قائما بذاته في الدراسات الدلالية الحديثة، وإن بدت بوادره في مجهودات الإمام عبد القاهر الجرجاني لدى دراساته لظاهرة النظم. فالدلالة في عرف علماء الأصالة هي كون اللفظ متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه، وهي المنقسمة إلى المطابقة أو التضمن أو الالتزام (خضير، ٢٠١٦: ١٣).

إن العناية والاهتمام بالدلالة من أقدم اهتمامات الإنسان الفكرية. لقد تناول الفلاسفة اليونان عدة قضايا دلالية، منذ قديم الزمان في دراساتهم وبحوثهم ومناقشاتهم لموضوعات تعتبر من صميم علم الدلالة. وذلك يدل على أن الدراسة الدلالية قديمة الجذور قدم التفكير البشري، مواكبة لمستجدات تقدمه وارتقائه وتطوره. ولقد تحدث أرسطو على سبيل المثال عن الفرق الكامن بين الصوت والمعنى، وأشار إلى أن المعنى متطابق مع التصور الموجود في العقل المفكر. وزيَّل أرسطو بين ثلاثة أمور وهي الأشياء في العالم الخارجي والتصورات، المعاني، والأصوات الرموز أو الكلمات (عمر، ١٩٨٢: ١٧).

لقد طرح قدامى السوفسطائيين قبل سقراط مسائل دلالية متعددة. أبرزها ما يتصل بعلاقة اللفظ بمعناه. وانصب البحث حول نظريتين، بحيث ترى الأولى منهما أن

العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة طبيعية، على حين ترى الثانية أنها مواضعة وعرف بشري. وامتد هذا البحث من عهد السوفسطائيين وسقراط إلى أفلاطون الذي ذهب في محاورة قراطيلوس أو كراتيل إلى أن للألفاظ معنى لازما يتصل بطبيعتها الذاتية. فالكلمات لديه تتطابق ومسمياتها، أي الأشياء التي تدل عليها (قدُّور، ١٩٩٦: ٢٨٢). وأرسطو يرى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى اصطلاح ناجم عن اتفاق أو تراض بين الناس. وأسس أرسطو نظرية تقسيمه لأنواع الكلام على أسس دلالية. فالاسم كما يراه ذات دلالة مجردة من الزمن، على حين أن الفعل له دلالة على الحدث والزمن معا، والحرف ليس له في نفسه معنى (قدُّور، ١٩٩٦: ٢٨٢).

وكان موضوع العلاقة بين اللفظ ومدلوله من أهم القضايا التي تناولها أفلاطون في محاورته مع علمه سقراط. فاتجه أفلاطون نحو العلاقة الطبيعية الذاتية، مدعيا أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة سهلة التفسير والتحليل في بدء نشأتها، وبالتالي تطورت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن نتبين بوضوح تلك الصلة، أو نجد لها وجها للتحليل والتفسير. في حين يترأس أرسطو زعامة فريق آخر ينادي بوجود الصلة بين اللفظ والدلالة، لكن تعدو كونها صلة اصطلاحية عرفية تواضع عليها البشر. وأوضح أرسطو آراءه في إحدى مقالالته بعنوان الشعر والخطابة، وذكر فيها عرفية أو اصطلاحية العلاقة بين اللفظ والمعنى (عمر، ١٩٨٢: ١٨).

تعرض الباحث المعاصر جورج مونان في كتابه تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين لكثير من المسائل الدلالية التي طرقتها جهود القدماء من الساميين والصينيين والهنود والرومان. ولم يكن الهنود أقل اهتماما بمباحث الدلالة من اليونانيين أو غيرهم. فقد عالج الهنود منذ وقت مبكر كثيرا من المباحث التي ترتبط بفهم طبيعة المفردات والجمل، بل وليس من المغالاة في شيء إذا قيل إن الهنود ناقشوا معظم القضايا التي يعتبرها علم اللغة الحديث من مباحث علم الدلالة. فقد أشاروا إلى معظم الظواهر اللغوية التي لم ينفك يعترف بها علم اللغة الحديث، كدور السياق في توضيح المعنى، ووجود الترادف والمشترك اللفظي كظاهرة عامة في اللغات الإنسانية، إضافة إلى مهمة القياس والمجاز في التغير الدلالي (عمر، ١٩٨٢: ١٩-٢٠). وبما أن تحديد المعنى المقصود صعب معرفته إلا عن طريق دلالة تداولية حين تشترك في نواح معينة مع العناصر اللغوية الأخرى (عبد السلام، ٢٠١٨: ٥).

لقد اهتمَّ العلماء المسلمون في الحضارة العربية بمجاميع من القضايا الدلالية نظرا وتطبيقا، لأن جوانب الدرس الدلالي عند العرب القدامى أَثْرَت بسعتها وعمقها في هذا العلم إثراء هائلا. لقد فطن العرب إلى المجالات التي تعبر عنها كل مجموعة من الألفاظ، فأنشؤوا علاوة على ذلك رسائل دلالية متنوعة، ثم صنَّفوا معاجم متخصصة في هذا الميدان. وكان لهم الباع الطويل في مسائل الترادف والأضداد والمشترك اللفظي ونحوها، فقد عنوا بها منذ بدؤوا بتدوين لغتهم ودرسها، ولهم رسائل وكتبا كثيرة في هذا الصدد.

كذلك طرق لغويو العرب قضايا دلالية مهمة كالعلاقة بين الدال والمدلول، والحقيقة والمجاز، والمهمل والمستعمل ونحو ذلك. وقد كان هناك جوانب أخرى عند العرب شهدت جهودا دلالية واضحة، كالجانب الديني الذي يعود إليه الفضل في إثارة الكثير من المسائل والقضايا العلمية التي راح بعضها علوما مستقلة، كمباحث الألفاظ الإسلامية. وهي طائفة من المفردات التي جاء بها الدين الإسلامي، أو غيَّر دلالتها، مثلما نجد في التفسير غريب القرآن العدد الجم من مسائل الدلالة التي رفدت المعجمية العربية، وغذَّت الدراسات اللغوية مع تباين أطرافها (قدُّور، ١٩٩٦: ٢٨٣).

تنبه علماء المسلمين القدامى من العرب وغيرهم بما يدور حول محيط فلك الدراسات الدلالية. ولعل البحث في دلالات الألفاظ والمفردات من أبرز ما لفت انتباه اللغويين العرب القدامى وأثار مشاعرهم واهتمامهم. ومن الجهود والأعمال اللغوية المبكرة لدى العرب مباحث علم الدلالة، كتدوين معاني الغريب في القرآن الكريم، وغريب ألفاظ الحديث وعن مجاز القرآن، والتأليف في الوجوه والنظائر في القرآن. وكذلك صناعة المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ اللغوية. ويعد ضبط المصاحف بالشكل في حقيقته وظيفة دلالية، إذ إن تغيير الضبط يوحي إلى تغيير وظيفة المفردة، وبالتالي إلى تغيير الدلالة.

فجهود الدارسين اللغويين العرب المضنية التي غطت آفاق آثار الدراسات الدلالية في شذرات مبعثرة في الكتب اللغوية والبلاغية كلها تُنبئ ببزوغ ملامح علم الدلالة بشكله الحديث الراهن. فقد حاول ابن فارس ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها في معجمه المقاييس اللغوية، وبذل الزمخشري قصارى جهده في التفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية، مما يصب هذا الجهد في المصلحة الدلالية. فابن جني في محاولته لربط تقليبات المادة المكنة بمعنى واحد، قد يشكل إسهاما ملحوظا في الناحية الدلالية، فيقول: «وأما «ك ل م» فهذه أيضا حالها. وذلك أنها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة.

والمستعمل منها أصول خمسة وهي: «ك ل م»، و «ك م ل»، و «ل ك م»، و «م ل ك»، وأهملت منه: «ل م ك» (ابن جني، وعثمان، ١٣).

ومن البحوث الدلالية بشكل غير مباشر في مؤلفات السابقين ما قام به أحمد ابن فارس في المقاييس والصاحبي في فقه اللغة، والخصائص لابن جني، وفقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي، والمزهر في اللغة وأنواعها للسيوطي، والسعي الحثيث لعلماء الكلام والفلاسفة المسلمين والأصوليين وأصحاب المنطق في إثراء قضية دلالات الألفاظ. فقد عالج علماء الأصول أبوابا للدلالات في مؤلفاتهم، تناولت عدة موضوعات، كدلالة اللفظ ودلالة المنطوق ودلالة المفهوم، ثم تقسيم اللفظ بحسب الظهور والخفاء، والترادف والاشترك، والعموم والخصوص، والتخصيص والتقييد أو المطلق والمقيد.

وأن الدراسات في الميدان البلاغي التي تمثلت في دراسة الحقيقة والمجاز وفي دراسة كثير من الأساليب البلاغية كالجناس والتورية والأمر والنهي والاستفهام، وفي نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني وغيرها أغلبها تمس الجانب الدلالي. بيد أن هذا الاهتمام لدى السابقين بمباحث الدلالة لا يعني أن علم الدلالة قديم في نشأته قدم الدراسات اللغوية، بل إنما أثيرت بعض مباحثه وبعض قضاياه وأفكاره ضمن إطار حل القضايا اللسانية.

وقد ظهر علم الدلالة بشكل واضح على صعيد الدرس اللغوي جراء معالجة قضايا الدلالة بمفهومه العلمي ضمن إطار مناهج بحثه الخاصة، على أيدي لغويين متخصصين في الدرس اللساني، وإنما يعد ذلك ثمرة من ثمرات الدراسات اللغوية الحديثة. فإن الداسين اللسانيين المحدثين قد سعوا إلى تحديد محاور الدرس الدلالي في نطاق اللسانيات، وتخليص علم الدلالة مما لا يمت لمجال اللغة بصلة. وأن أبرز المجالات التي طرقتها الدراسات الدلالية الحديثة تتضمن دراسة المعنى، والحقول الدلالية، والسياق، وأنواع المعنى وتحليله.

ومن ناحية أخرى يدرسون محور العلاقات الدلالية، ويتضمن الترادف والاشتراك والأضداد والفروق، وتدرُّج الدلالة ومساحتها، ويتضمن أصناف الألفاظ وحركية الثروة اللفظية والاقتراض اللغوي ونحو ذلك من مسائل عدة ضمن إطار علم الدلالة الحديثة. كما يتناول محور التغيُّر الدلالي، ما يشمل أسباب التغيّر الداخلية والخارجية، وسبل التغير وأشكاله ومجالاته، إضافة إلى بحث المجاز والاستعارة مما له اتصال وثيق بالمعنى وتبدّلاته والتطورات الدلالية (قدُّور، ١٩٩٦: ٢٨٤).

وممن أسهم في علم الدلالة من الدارسين اللسانيين المحدثين العرب الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه دلالة الألفاظ، تكلم فيه عن نشأة الكلام الإنساني وكيف ارتبطت الألفاظ

بمدلولاتها، ونوع هذا الارتباط. كما تحدث المؤلف عن أداة الدلالة وهي الألفاظ، ثم تدرج إلى تبيان أقسام الدلالة، وهي الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية. وقد ناقش المؤلف آراء العلماء في العلاقة بين اللفظ ودلالته، من أنها علاقة طبيعية ضرورية، أم علاقة عرفية اصطلاحية، وعلى الرغم من أنه ينتمي إلى الطائفة الثانية إلا أنه قد اعترف بوجود مجموعة من الألفاظ في كل اللغات البشرية ترتبط ارتباطا وثيقا بمعانيها مثل الحفيف والقهقهة ونحوها (عمر، ١٩٨٢: ٢٩).

علم الدلالة في التراث العربي النيجيري

تأثر علماء نيجيريا بالدارسين اللغويين العرب القدماء في تناول القضايا الدلالية في ثنايا مؤلفاتهم في علوم القرآن والتفسير والأدب والبلاغة. متبعين خطوات العرب القدامى في حقول المفردات، من ترادف، وغرائب، ومعرب، ودخيل، واشتراك، وتضاد. فالغريب القرآني هو الذروة الأعلى في الفصاحة يستأنس به أصحاب الخبرة الذاتية العالية الواسعة في دراية كلام الأعراب على سننها وسلاقة ألحانها اللغوية، ويهتمون به لأنه يحتضن الذوق السليم غير المعقّد الناجم عن الوحشي، ولا ما اصطنعته الطوائف العلمية، بل صاغه القرآن وصقّله وغذاه بمادة تحمل من الخاصة القوية، بحيث أثبت الغريب الاحتجاج بالشعر أصلا لتبيّن معاني مفردات القرآن الكريم (شعيب، ٢٠٠٩: ١٢٠).

وكان عبد الله ابن فودي من العلماء الذين عالجوا حقول المفردات الدلالية في منظومته مفتاح التفسير، بحيث تناول بالذكر بعض الظواهر اللغوية المثيرة للجدل في أوساط اللغويين قديما وحديثا، مثل الغريب والمعرب والمشترك اللفظي والترادف من الألفاظ التي يزعم بعضهم بوجودها في القرآن العظيم. فانبرى عبد الله منوِّها بذلك حيث يقول:

منه الغريب جم في القرآن ❋ مرجعه النقل كالأماني
روم وفرس نبط السرياني ❋ بربر قبط حبشي عبراني
بأنه في الأصل أعجمي ❋ وبعد تعريبهم عربي
إذ صار من كلامهم صريحا ❋ مستعملا في شعرهم فصيحا
وفيه الاشتراك كالإقراء ❋ والند، والتواب مع وراء
مولى، وويل، غي، أو مضارع ❋ وعكسه ترادف فيه رع
ضيق، وحرج، رجز، عذاب ❋ والرجس، بحريمه الصواب
من ذا الذي يُظن ذا ترادف ❋ الشح والبخل وضن فاعرف
إلى الهبات البخل للعوار ❋ ضنك والشح بحرص جار

والسنة الحول الشديد المجدب ❋ والعام ما فيه الرخاء والخصب

(عبد الله بن فودي، مخطوطة، ٦٥-١١٣)

يذكر عبد الله بن فودي بأنه قد جاء في القرآن الكريم كثير من ألفاظ غريب القرآن، على النقل من السلف، وأن منه أيضا المعرّب من الألفاظ، من اللغات الفارسية والنبطية والسريانية والقبطية والحبشية والعبرانية. ولكن ألفاظ هذه اللغات الواردة في القرآن قد تم تصقيلها وتعرييها في العربية.

ومن الملاحظ أن بعض هذه الألفاظ التي اعتبرت أجنبية كانت شقيقات العربية من لغات سامية تنتمي إلى أرومة واحدة، وهي السريانية والعبرية، والنبطية، وعدَّها جماعة من العلماء من الدخيل على العربية غير منتبهين أنها قد انحدرت كلها من أصل واحد، وربما أخذت الكلمة الواحدة السامية صورا متعددة في هذه الأخوات (أنيس، ١٣١)

وذهب طائفة من اللغويين القدامى إلى أن هذه الحروف أصولها أعجمية أتت إلى العرب فأعربها ألسنتها، فحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فأصبحت عربية السمة، ثم نزل القرآن وقد احتفظت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال إنها عجمية فهو صادق (السيوطي، ٢٧٠). فباعتبار بعضهم، أنها عجمية باعتبار الأصل، عربية باعتبار الحال، كدرهم، وقرطاس، ومشكاة، ويم، وطور، وفردوس، وصراط، ونحوها.

ثم أشار عبد الله بن فودي إلى الاشتراك اللفظي والترادف في القرآن الكريم. أما المشترك فهو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالتها على السواء عند أهل اللغة نحو العم أخ الأب، والعم الجمع الكبير في قول الراجز:

يا عم بن مالك يا عماه ❋ أفنيت عما وجبرت عمًّا

فالعم الأول أراد به يا عماه، والعم الثاني أراد به أفنيت قوما وجبرت آخرين (السيوطي، ٤٠٢). وأما المترادف فاللفظ المتعدد الدال على شيء باعتبار واحد كالسيف والصارم فإنهما دالتان على شيء واحد (حسان، ٣١٦).

ومن هنا يتأكد القول بأن عبد الله بن فودي يؤمن بفكرة الاشتراك والترادف، لأن فحوى كلامه ينبئ بذلك في الأبيات السالفة، فإنه يرى الاشتراك في القرء بين الحيض والطهر، وبين التواب في دلالة التائب والذي يتوب عليه أي يقبل توبته وهو الله تعالى. والوراء في دلالة أمام أو خلف، ومولى في معنى العبد والسيد، وغير ذلك من الكلمات المشتركة اللفظية في العربية والقرآن الكريم. كما يرى الترادف في ألفاظ السَنة والحول والعام، وبين البخل

والشح والضن ونحوها. بأنها على معنى واحد بِغَض الطرف عن الفروق الناجمة فيها حسب وجهة نظر الآخرين الذين لا يرون وجود هاتين الظاهرتين في اللغة العربية، مما يدل صراحة وجود ملامح الدراسات في علم الدلالة في تراثنا المحلي بين القديم والحديث.

ومن هذا القبيل جهود علماء نيجيريا نحو تحقيق غاية إزالة العجمة والخفاء في دراسة المفردات أو بعبارة أخرى دراسة المعاجم. ومن المفهوم أن المعجم لم يكن نظاما من أنظمة اللغة، ومع ذلك فهو جزء من اللغة إذ لا يكون ذلك منسجما مع كونه ملحقا من اللغة (فاخر، ١٩٨٤: ٨-٩). فالمعجم في معناه البسيط، هو الكتاب الذي أزيلت العجمة فيه، وذهب الخفاء منه، وهو يشرح معاني الألفاظ ويبين أصلها وما اشتقت منه معتمدا في ذلك صاحبها على نظام معين في ترتيب المواد اللغوية بحيث يمكنه جمع اللغة بطريقة حاضرة. وهذه الطريقة قد تكون طريقة التقليبات كما رأينا في كتاب العين للخليل أو طريقة القافية كما في كتاب لسان العرب لابن منظور، أو طريقة الأبجدية كما في كتاب مقاييس اللغة لابن فارس، وعليه نسج الآخرون ومنهم المعاصرون.

هذا، وقد قام بدراسة المفردات الشيخ محمد الجامع الملقب بـ «تاج الأدب» المتوفي عام ١٩٢٤ في كتابه المنظوم والمشهور بين كبار العلماء في مدينة إلورن باسم «كتاب العَدِدِ» وهو منظوم في معجم الكلمات، عن طريقة دراسة المفردات أو المترادفات. ومطلعه:

عـــــدد أنشاد الأرب ❋ الأدب الـــمـــــؤدب

وبالرغم من شذوذ الكلمات الواردة في هذا الكتاب، ويوجد البعض منها في القرآن الكريم، فمثلا قوله:

عـثلجـتي بشـجـرتـي ❋ والعود عن عرجن بـي

ذلك في قوله تعالى: ﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩﴾ [يس: ٣٩] ومن المترادفات في الكتاب مثلا: العربد، والشراس، والشكس كلها بمعنى سوء الخلق. وكذلك رجرج وزلزل في معنى الإزعاج وهكذا.

وتجب الإشارة هنا أيضا إلى جهد إبراهيم سلمان أكي في ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة اليورباوية خوفا من الكتمان، وضياع معانيه واختفائه بين العلماء على حد قوله.

ومن الجهد المبذول نحو هذه الدراسة الدلالية، هو كتاب، ألفه بنيامن طاهر ما تلي من علماء مدينة إبادن، ولاية أويو بعنوان «قاموس الدالية»، وهو كتاب منظوم، اتخذ كاتبه طريقة الأبجدية في كتابته، بمطلعه:

بسم الذي أراد من كان زاهدا ❋ بقرآنه في دهر كن أنت عابدا

إضافة إلى هذا الجهد، قام بنيامن أيضا بالتعليق على ثلاثة كتب أخري وشرحها وهي كتاب العدد لتاج الأدب، مصباح الزمان لإسماعيل النبراس الأدبي وكشف العشان لسهيل بن محمد السنغلي (عبد السلام، ٢٠٠٣: ٢٥٨ -٢٥٩).

ويعتبر العلامة الشيخ آدم عبد الله الإلوري بحق من أسهم في علم الدلالة لتتناوله طرفا من الظواهر الدلالية بدراسة لغوية حديثة، وتعقيب خاطف بشكل ملحوظ في كتاب»أسرار البلاغة وأساس الفصاحة» وكان عمله هذا مطابقا لأطر نظرية علم الدلالة في البحث اللغوي الحديث. لنستمع إلى الشيخ الإلوري وهو يُلمِّح إلى هذه الظاهرة اللغوية في الأبيات التالية فيقول:

ونسبــة الألفـــاط للمعــاني ❋ خمسة أقســام بلا نقصان
تواطـــؤ تشــاكك تخـــالف ❋ والاشــتراك حكمه الترادف
منها اشتراك اللفظ والترادف ❋ تواطـؤ تشــاكك تخــالف

(الإلوري، ١٩٨٤: ٣٠-٤١).

والإلوري كسلفه عبد الله بن فودي كان يفطن لما يدور من النقاشات حول الدراسات اللغوية بما فيها ظاهرة الدلالة اللغوية حسب معطيات الدراسات الحديثة في علم الدلالة. ويشير هنا في الأبيات الثلاثة السابقة إلى تقسيم الألفاظ اللغوية من حيث تأدية المعاني إلى خمسة، أن تتوطأ الألفاظ بمعانيها أي صلتها بالدلالة أو أن تختلف بالمعاني أو تشترك معها، أو أن تترادف في أداء المعنى.

ولكن الشيخ آدم الإلوري لا يقصد في دراسته القضايا اللغوية الدلالية المعاصرة، كما يتداولها الدارسون اللغويون المحدثون في الآونة المتأخرة، والتي تتمثلها مسائل الاشتراك والتضاد والترادف والسياق اللغوي وغير ذلك، وإن كان على دراية بأن الدراسة اللغوية ليست في إطار الدراسة البلاغية، كما هي في القديم. والواقع أن منظومة عبد الله بن فودي وأرجوزة الإلوري تلقيان لنا الضوء الأخضر عما يتناوله المحدثون الآن من الظواهر الدلالية الحديثة. ويمكن القول بأن صنيعهما في معالجة القضايا الدلالية بشكل غير مباشر أثناء الدراسات البلاغية والأدبية، أو في التفسير وعلوم القرآن يمثل جسرا رابطا بين التراث الدلالي العربي الأصيل والحديث. (إبراهيم، ٢٠١٨: ٢٩١)

الخاتمة

الدرس اللغوي في علم الدلالة درس حيوي متشعب الأطراف، باشره القدامى في زوايا الدراسات الفلسفية والأصولية واللغوية، وعبر علم الكلام والمنطق. وفي الدراسات

اللغوية الحديثة، قد تصدرت الدراسات في علم الدلالة مركز الصدارة لدى الغرب والعرب والمستعربة.

لقد تفقدت هذه المقالة أثر علم الدلالة في التراث العربي القديم والحديث. ووقفت على جهود العلماء في إثراء علم الدلالة من الباحثين قديما وحديثا. كما مرت المقالة بمفهوم علم الدلالة نشأة وتطورا، وقدمت الإيضاحات حول تأقلم العلماء القدماء بدلالات الألفاظ التي شكلت منعطفا خاصا في الدراسة الدلالية الحديثة.

وتقصت المقالة كذلك بعض النصوص اللغوية في التراث العربي المحلي لبلورة قيمة هذه النصوص اللغوية من ناحية الدراسة الدلالة الحديثة. فوقفت على جهود الشيخين الجليلين الأستاذ العلامة عبد الله بن فودي والعلامة الشيخ آدم عبد الله الإلوري، في منظومتيهما ما يدل على أنهما لم يجهلا ما يدور من النقاشات والدرسات اللغوية لدى القدامى، بما في ذلك ما يدور من الحوارات اللغوية في علم الدلالة.

وإن كانت هذه الدراسة عندهما لا تشكل نمط الدراسات الدلالية المعاصرة، إلا أنها فتحت آفافا واسعة عن الدراسات الدلالية الحديثة لدى الأجيال القادمة في ديار نيجيريا. لأن هذا الجهد الكبير أكد تضلع الأستاذين في العلوم اللغوية والأدبية والبلاغية والتاريخية والاجتماعية والعلوم النفسية، وجميع هذه العلوم وغيرها لها صلة وصل مع الدراسات اللغوية، ولا سيما علم اللغة الحديث الذي يندرج فيه الدراسة الدلالية الحديثة.

وعسى أن تكون هذه اللمحة اليسيرة النزرة عن علم الدلالة في تراثنا العربي القديم والحديث تشجع الباحثين الراغبين في توسيع الدراسة اللغوية والدلالية الحديثة في التراث اللغوي العربي النيجيري. ويرجو الباحث أن الأمل قد تحقق فيما قدمه عن علم الدلالة من صنيع علمائنا المحليين. وصلى الله على النبي الكريم وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

والمراجع

Abdullah bin Fawdi. *Manzhumat Miftah at-Tafsiri*. Manuscript.

Abdussalam, Abdulganiy Abimbola. 2003. *Dirasah Tahliliyah lil Mualifat Al-'Arabiyat lada Ulama' Yoruba*, Bahats ghayr mansyur muqadam lineil Darajat Dukturah bi qism al'adyan. Jamiah Ilorin, Nigeria

_____ 2011. Ad-Dirasah at-Tadawuliyyah min Khilal Ahadits an-Nabawiyyah. *Al-Asalah, Journal Arabic & Islamic*

Studies. 2 (2), 179-192.

_____ 2018. Tahadid Maanal Limaqsud fi al-Kalam bianal Tadawuliyyah wa Muqtadil Hali, *Al-Lisan, International Journal.* 5 (2), 1-9.

Agaka, Abdul-Baqi Shuaib. 2009. *Al-Balaghat- l-Quraniyat lada Abdullah bin Fawdi*. Cairo: Muasasat al-Mukhtar Li an-Nashr wa at-Tauzi'

Ahmad Muhammad Qaddur. 1996. *Mabadi' al-Lisaniyyat*. Damascus Syria: Dar al-Fikr.

Amin Muhammad Fakhir. 1984. *Dirasat fi al-Muhajim al-Arabiyah*. First Edition. Cairo: Hassan Press.

Al-Ilori, Adam Abdullah. 1984. *Asas al-Balaghah wa Asrar al-Fashaha*. Syarih wa at-Ta'liq Abdulwahab al-Ghamawiy. T 1. Agege, Nigeria: Islamic Cultural Centre.

Ibn Manzhur, Al'imam. 2002. *Lisan al-'Arab*. Cairo: Dar al-Hadits.

Ibn Jini, Abu al-Fath Utsman. *Al-Khashaish.* Vol. 1. Cairo: Dar al-Hadits.

Ibrahim Anis. n.d. *Fi Allahajat al-'Arabiyah*. Cairo: Maktabah al-Anjilu al-Mishriyat.

Ibraheem, Lateef Onireti. 2018. Al-Iltizam al-Islami fi asy-Syi'r al-'Arabi fi Bilad Yorba Nigeria. *El Harakah Jurnal Budaya Islam* 20 (2): 285–320.

Khadir, Ali Hamed. n.d. *'Ilm Dilalat*. Denmark: Arabic Academic.

Muhammad Ali Al-khuli. 2000. *Madkhal Ila 'Ilm al-Lughah*. Jordan: Dar al-Falah Li an-Nasyr wa at-Tauzi'.

As-Suyuty, Abdurahman bin Abu Bakar. n.d. *Al- Muzhar fi al-Lughat wa Anwa'iha*. Cairo: Maktabat Dar al-Kutub al- Arabiyah.

Tamam Hassan n.d. *Al-Lughat Ma'naha wa Mabanaha*. Cairo: Ad-Dar Al-Baida Dar ats-Tsaqafat.

Umar, Ahmad Mukhtar. 1982. *'Ilm ad-Dilalah.* T 1. Cairo: Maktabat Dar al-Arabiyah Li an-Nashr wa at-Tauzi'.

Az-Zabidy. (N.D) *Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus*. Kuwait: National Council for Culture, Arts and Science, Kuwait Ptress.